المجلة المغاربية للمخطوطات
المجلد 20 العدد 01 السنة 2024 ص ص 135-154

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

منهج التغييرعند مالك بن نبي

Means of change according to Malik bin Nabi

د/ فايزة بوثلجة [1]

[1] جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله – الجزائر

faziabouteldja768@gmail.com

تاريخ الاستلام: 06 / 10 / 2022 تاريخ القبول: 29 / 12 / 2022

Abstract:

In our study، we touched on the most important basic methods that the thinker Malik Bennabi talked about، through which we can make a change in society، to accelerate the change process after the failure of the two solutions that entered our country، the liberal democratic system، and the socialist system. Various ways and means

Keywords:

Change; Means; Malik bin Nabi .

المؤلف المرسل: فايزة بوثلجة

البريد الالكتروني: faziabouteldja768@gmail.com

الملخص:

في دراستنا هذه تطرقنا إلى أهم الوسائل الأساسية التي تحدث عنها المفكر مالك بن نبي والتي نستطيع بواسطتها أن نحدث تغييرا في المجتمع وذلك بهدف التعجيل بعملية التغيير بعد فشل الحلين الدخلين على بلادنا النظام الليبرالي الديمقراطي والنظام الاشتراكي وقد توصلنا من خلال دراستنا للموضوع أن عملية التغيير تتم بشتى الطرق وبوسائل متعددة ومتنوعة.

الكلمات المفتاحية: التغيير؛ الوسائل؛ مالك بن نبي.

1. مقدمة:

يعتبر المفكر الجزائري مالك بن نبي من بين المفكرين الأوائل الذين ألحو على ضرورة القيم بالتغيير داخل المجتمعات لأن طبيعة العصر تفرض علينا تغييرات من الخارج، فالذي يجب أن نؤكد عليه أولا وأن تتذكروه دائما 'حسبه': أننا إذا لم نقم نحن بثورتنا فإن التغيير سوف يأتي من الخارج ويفرض علينا فرضا "لأن كل تغيير يطرأ على الجانب الاجتماعي نجده يمس بالضرورة الجوانب الأخرى و لعل السبب الرئيسي الذي أدي بمالك بن نبي إلى التعجيل بعملية التغيير هو فشل الحلين الدخلين على بلادنا المستوردين من عند غيرنا وهما النظام الليبرالي الديمقراطي والنظام الاشتراكي وقد كانت سلبيات كلا النظامين أكبر من إيجابياته، حيث شمل الفشل تقريبا كل الميادين (فشل في المجال الاقتصادي والأخلاقي والعسكري ولهذا فقد تسأل وبحث مالك بن عن أسباب هذا الفشل، وكيف يكمن إحداث التغيير ؟ وما هي العوامل التي تساهم في إحداث التغيير؟

2-ضبط المصطلحات:

1-مفهوم المجتمع عند مالك بن نبي: لا ينحصر مفهوم المجتمع عند بن نبي في مجرد تجمع أفراد على أساس الاشتراك في العادات والتقاليد أو العيش في رقعة جغرافية واحدة والخضوع لقوانين مشتركة. لكنه يمثل الجماعة التي تغير باستمرار

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

خصائصها بإنتاج وسائل التغيير، مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه وراء هذا التغير. ويقوم النظام الاجتماعي بحسب هذا التعريف على أسس هي: الحركة معناه إنتاج أسباب هذه الحركة (حركة المجتمع) وتحديد تجاهها فهذا هو في نهاية الأمر المقياس الأساسي الذي يساعدنا على أن نواجه مشكلة ميلاد المجتمع، حيث تكتسب الجماعة الإنسانية صفة المجتمع عندما تشرع في الحركة، أي عندما تبدأ في تغيير نفسها من أجل الوصول إلى غايتها، أما الجماعات الساكنة فإن لها حياة اجتماعية دون غاية، فهي تعيش في مرحلة ما قبل الحضارة[1].

2. **مفهوم التغيير وشروطه عند مالك بن نبي:**

من خلال تعريفه السابق للمجتمع يظهر أن التغيير فعل المجتمع في التاريخ، فالمجتمع يتحدد كمجموعة أفراد يتحركون في إطار زمني محدد، وهي حركة مستمرة من أجل تحقيق هدف واضح مع إنتاجه لوسائل الحركة، و يجب أن يتفق التغيير الاجتماعي مع انبثاق حضارة معينة لأنه في الحقيقة عبارة عن عملية تحضير، فحينما تبدأ الجماعة في تغير نفسها لتحقيق أهدافها فسيكون من مستلزمات هذا التغيير استيعاب جميع الميادين الأخرى بما فيها الثقافية والسياسية والاقتصادية مما يعطي لنا في الأخير التغيير الحضاري وهو ما جعل البعض يفضل تسميته التغيير الحضاري بدل التغيير الاجتماعي[2]، وتظهر بعض الدراسات أن التغيير الاجتماعي سواء أكان سلبيا أو إيجابيا يمس جميع الثقافات مع تفاوت من حيث السرعة، فإذا كان المجتمع بطيئا متخلفا فالتغيير يكون بطيئا وإذا كان المجتمع متحضرا فالتغيير يكون أسرع، ويحلل مالك بن نبي حركة المجتمع من خلال العوالم الثلاثة للبناء الثقافي. فعالم الأشخاص يحدد غايتها التاريخية وعالم الأفكار يحدد

منهجها وعالم الأشياء يوفر وسائلها وأدواتها المادية، ولا يتحقق عمل تاريخي في إطار التغيير إلا بتضافر العوالم الثلاثة [3]ثم يضيف لها عاملا رابعا يقوم عليه المجتمع في بناء حضارته وهو شبكة العلاقات الإجتماعية التي يقوم عليها المجتمع ساعة ميلاده، وأول خطوة في بناء الإنسان الاجتماعي حيث يتحرر الفرد من فردانيته أي من كونه فردا (**individual**) ليرتقي إلى رتبة الشخص (**personnel**) وأبرز الأمثلة التي يقدمها بن نبي لهذه الحالة من التطور اجتماع المسلمين خلال صلاة الجمعة[4]، والتغيير الاجتماعي بما هو تغيير حضاري قد عرف في تاريخه نفس مراحل الدورة الحضارية التي مر بها العالم الإسلامي بإعتبار الحضارة فعل مجتمع تبدأ المرحلة الأولي بمرحلة الروح ثم المرحلة الثانية وهي مرحلة العقل وأخير مرحلة الافول

2-وسائل التغيير وأهدافه.

لقد ظل العالم الإسلامي على هامش التطورات التي حركت التاريخ، كأنه لم يكن له هدف يسعي إليه ولا طموحات يحققها، وقد استسلم المريض للمرض بحيث نجد كل مصلح قد عالج الوضع الراهن تبعا لرأيه أو مزاجه أو مهنته، فقد رأى رجال الدين أن المشكلة لا تحل إلا بإصلاح العقيدة والوعظ في حين ذهب رجال السياسة إلى أن المشكلة سياسية وبذلك فهي تحل بوسائل سياسية. في حين أن هذا التشخيص لا يتناول في الحقيقة المرض بل يتحدث عن أعراضه، وكانت الطرق والوسائل التي اتبعناها آنذاك تشبه ذلك الطبيب الذي يواجه حالة مريض بالسل الجرثومي فلا يهتم بمكافحة الجراثيم، وإنما يهتم بإسكات هيجان الحمى عند المريض، شأنه شأن العالم الإسلامي الذي يشكو من ألام كثيرة (الاستعمار-الأمية) وهو لا يعرف حقيقة مرضه ولم يجد الوسائل الضرورية لتغيير حياته. ومن أجل هذا دعا المفكر مالك بن نبي إلى ضرورة إيجاد الوسائل الأساسية من أجل تغيير الواقع

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

المرير الذي تتخبط فيه شعوب العالم الإسلامي منذ زمن بعيد، حيث يعتبر التغيير من السنن الخالدة التي وردت في القرآن الكريم والتي استخلصها الباحثون في التفسير الإسلامي للتاريخ، ولهذا رأى فيه الأستاذ مالك بن نبي مفتاح الحركة الإصلاحية والحضارية.[5] وقد ركز في كل أبحاثه على ضرورة تجديد الإنسان بالدرجة الأولي وهو ما يسميه بالإنسان المتحضر لأنه العنصر الأول والأساس في معادلة الحضارة وهو محور التغيير من حيث بعده النفسي والزمني ويشكل بعده الديني أساس التأثير الاجتماعي. وتظهر أهمية الإنسان من خلال استقرائنا للواقع حيث يعود سبب فشل نهضتنا وتقهقرنا إلى عدم قدرة قادتنا على تشخيص أسباب التخلف والانحطاط التي تضرب في أعماق الجذور النفسية في ثقافة إنسان ما بعد الموحدين. كما يعود إلى أسباب فكرية تتمثل في فشل جهود رجال السياسة في إيجاد الوسائل الناجحة التي تناسب حركة التغيير. أي أن المشكلة تكمن في ثقافة المجتمع، وهو ما يقتضي بحثا في وسائل فكرية لحلها [6] ولأجل ذلك نجده يقول حتى الثورة لا تستطيع الوصول إلى أهدافها، إذا لم يغير الإنسان، بطريقة لا رجعة فيها سلوكه وأفكاره وكلماته.

1-وسائل التغيير: حدد مالك بن نبي مجموعة من والوسائل المادية والمعنوية التي بواسطتها يتخلص الإنسان المسلم من عقدة التخلف والالتحاق بالركب الحضاري مثله مثل باقي الأجناس الأخرى، ومن بين هذه الوسائل نجد بالدرجة الأولى:

أولا: الإنسان: إن الحديث عن التغيير عند مالك بن نبي يجرنا حتما إلى الحديث عن تغيير الإنسان بالدرجة الأولى لأنه يمثل العنصر الفعال في عملية التغيير، ذلك لأنه (بن نبي) جعل منه المادة الأولية والأساسية الذي يجب أن تتجه كل

مجهوداتنا من أجل تغييره، وهو يمثل الأصل الذي تقوم عليه الوسائل ألأخرى، وهذا عن طريق التخلص من عقلية ما بعد الموحدين ومن سيطرة الغرائز العمياء، لأننا نجد المسلم اليوم لا يكترث بمعرفة كيف تم إبداع الأشياء، بل نجده يهتم فقط بكيفية الحصول عليها، فالمثقف المسلم عوض أن ينظر إلى الثقافة الغربية في مصانعها ومخازنها ويغوص في أعماقها، نجده يكتفي فقط بكيفية الحصو عليها. فهو عوض أن يقتبس من الحضارة الغربية فاعليتها وطريقتها في البناء الحضاري وهندسته نجده مفتونا بترفها ومنتجاتها، ولهذا السبب نجده يصّر ويلح على ضرورة إعادة تشكيل عالم الأشخاص ففي نظره لاوجود في المجتمع لعالم الأفكار ولا لعالم الأشياء إلاّ بوجود عالم الأشخاص لأنه هو الذي أوجد هاذين العالمين وطورهما كما أنه يمثل القاعدة الصلبة التي ينطلق منها كل عمل تاريخي مشترك.[7]و من أجل إعادة بناء هذا العالم يركز بن نبي على عملية تكيّيف الإنسان المسلم اجتماعيا حتى تصبح كل تصرفاته وانعكاساته غير منافية لقوانين المجتمع ويتم ذلك عن طريق إحياء سلطة ضمير الإنسان وربطها بالمثل العليا من أجل توجيه عمله نحو غاية سامية تليق بمكانته كإنسان [8] لأن الذي ينقص أفكار المسلم اليوم هو "الإرادة" و" التركيز" ولهذا كان بن نبي يلح على ضرورة إيجاد أفكار علمية يواجه بها كل جيل ظروفه التاريخية الخاصة وذلك من خلال إيجاد المنطق الذي يربط بين عالم الأشياء والأفكار وبين وسائلها وأهدافها. لأن المشكلة التي يعاني منها المسلم اليوم (من الناحية الداخلية) تتضمن في مقابلة كل مشكلة داخلية بحلول ترقيعية فالجهل مثلا يعالجونه بتوفير المعلومات وحشوها في أذهان غير قابلة للإستيعاب بينما الفقر يعالجونه بتوفير العمل وتوزيع الثروات بطريقة عشوائية، [9]في حين أن المشكلة أصعب مما نتصورها وأخطر من ذلك، لأن محاربة الجهل يكون بواسطة التعليم

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

الذي يرتكز على بناء الشخصية الجديدة التي تتفق ومستجدات الإنسان المعاصر القائم على فكرة التوجيه [10] ومن بين هذه القوى الأساسية التي يتخذها التوجيه قاعدة له نجد التوجيه الأخلاقي، فالأخلاق أساس جوهري في البناء الثقافي فهي أساس التماسك بين أفراد المجتمع لأن مصدرها هو الدين الإسلامي الحنيف الذي يحمل كل معاني التسامح وتقوية الروابط الاجتماعية، والدليل على ذلك ما قام به الرسول عندما آخى بين المهاجرين والانصار، فلا عبرة من الإسلام المجرد الذي يتركه المسلم عند عتبة المسجد بل العبرة بالإسلام العملي المجسد (قيما وسلوكا) فنحن نريد الإسلام المتحرك في أذهاننا المزعزع لضمائرنا الميتة، الذي يعلم الفرد كيف يعيش مع بقية أفراد المجتمع وهذا بزرع أخلاق البذل والعطاء وفقا لمنطق الواجب ونبذ الأنانية والمصلحة الفردية، لأن الأخلاق ليست فقط مشاعر مجردة أو نظريات جامدة، بل هي قيم اجتماعية نابعة من الإيمان القوي للإنسان [11]وللجمال كذلك تأثيره الفعال والكبير على الإنجازات العملية وتغيير الأفكار فتأثيره واضح على نفسية الفرد وإبداعه الفكري والعملي، أما القبح فهو قرين التخلف والمهانة لهذا يقال "إن الله جميل يحب الجمال "والطهارة كما هي طهارة البدن والثوب فهي أيضا طهارة النفس والخلق، وبالذوق الجمالي يجد الإنسان في نفسه نزوعا إلى الإحسان في العمل ولا يتكامل أي مشروع دون غرس ذوق الجمال في عادتنا وآدابنا الاجتماعية وأساليب حياتنا. بحيث يحقق في مجتمعنا التناغم والانسجام يمثله الإحسان. وعلاقة الذوق الجمالي بالمبدأ الخلقي وثيقة الصلة حيث تتكون الحضارة الثقافية في نظره حسب المعادلة التالية [مبدأ أخلاقي + ذوق جمالي =اتجاه الحضارة] لكن بشرط أولوية الأخلاق على الذوق الجمالي وهو الذي طبع حركة المجتمع الإسلامي. عكس القضية:[

تقديم الذوق الجمالي على الأخلاق كما هو طابع عند الحضارة الغربية اليوم والتي ورثت مقاييس الجمال عند الحضارة الإغريقية حيث يبرز الجمال من خلال الجسد العاري للرجل وللمرأة، وهو ما يقود الغرب اليوم إلى مأزق اجتماعية خطيرة [12] وللتوجيه العملي دور في غرس منطق العمل والفعالية في نفسية الفرد حتى لا ينشأ ثرثارا ولا خاملا، وهو ما يتنافى تماما مع الجدية والفعالية المطلوبة لمواجهة تحدي ما. فبواسطة المنطق العملي يواجه المسلم مختلف التحديات حيث ينتقل من مرحلة التفكير من أجل الكلام المجرد إلى مرحلة التفكير من أجل العمل المتجسد النافع له ولمجتمعه، وهو من لوازم الفعالية التي يعني استخراج أقصى فائدة من الإمكانيات المتاحة، ولعل سبب تركيز بن نبي على المنطق العملي هو ما شاهده في المجتمع الغربي حيث انتشرت الفلسفة البراغماتية النفعية العملية التي كان لها دور فعال في التوجه العملي في المجال التنموي والتوسع في الكشف العلمي[13] فالعبرة عندهم بالنتائج المهم لذة وكفي وهو المبدأ الذي تتعامل به اليوم الفلسفة البرغماتية الأمريكية تحت شعار" ليس لدينا أصدقاء دائمون ولا أعداء دائمون وإنما مصالح دائمة "بالإضافة إلى التوجيه الصناعي الذي نعني به ذلك النشاط الإنتاجي الفعّال الذي يدخل في تطبيقات العلوم التقنية. وتلعب التربية دورا فعالا في توجيه المجتمع نحو العمل المنتج الذي تحتاجه البلاد في مسارها التنموي. بحيث يعتبر العمل أساس كل نهضة فهو وسيلة للفرد لكسب عيشه وهو أصل ديننا حيث قال الله تعالى (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)[14].فالعمل في الإسلام عبادة وهو واجب شرعي قبل أن يكون واجبا اجتماعيا لذا يحرم الإسلام البطالة الإرادية مع القدرة عن العمل، فكما يقول الرسول (ص) لعن الله العبد الصحيح الفارغ. وفي قوله أيضا (ص) من اكتسب قوته ولم يسأل الناس لا يعذبه الله يوم القيامة "ويقتضي التوجيه

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

في العمل انسجام الجهود فى أعمال مختلفة تتكامل في إطار نسيج اجتماعي حيث تجمع بين جهد الفلاح بجهد الحرفي والإداري والأستاذ.[15]

ثانيا: الثورة: الثورة عند بن نبي بمثابة وسيلة التغيير السريع لأوضاع الإنسان الاجتماعية والسياسية والثقافية ولكي تحدث الثورة تغييرا لابد من وجود شروط أهمها: وجود مظالم اجتماعية وسياسية كافية لإحداث الثورة. بالإضافة إلى انتشار الوعي لدى الشعوب الذي يكون مصدره دينيا. أو قد يكون عن طريق التوعية وهذا ما لا حضناه خلال ثورة التحرير المجيدة، حيث أدرك الشعب الجزائري بما فيه الطبقة المثقفة (الأحزاب والمنظمات) أن ما أخذ بالقوة لا يسترجع إلا بها، ولهذا يستوجب أي عمل مسلح وجود قيادة فنية ذات كفاءة. لأن نجاح العمل الثوري أو فشله مرهون بها وهي تمثل تطورا تاريخيا مستمرا وإذا حدث أي خلل في هذا النمو وفي هذا التطور فقد تكون النتيجة ومخيبة للآمال والنموذج واضح في الثورات العربية التي باءت معظمها بالفشل بسبب سوء التخطيط وانتهاج سياسة المنطق المقلوب[16] ولا ترتبط الثورة بالعنف إلا في مرحلة ما قبل الاستقلال حيث تقوم على أساس تصفية الاستعمار من النفوس وهو العمل الذي يستمر حتى بعد إخراج الاستعمار من البلاد، إذ أن الاستقلال الجغرافي لا يعني الاستقلال الحضاري وإهمال هذه الحقيقة يبقي الاستقلال شكليا والأرضية مهيأة لعودة الاستعمار من المباشر إلى الاستعمار غير المباشر على نحو ما يعكسه الواقع عندنا. حيث يجب وضع الثورة في إطارها الحضاري لأن إهمال ذلك من شأنه أن يوقع الثورة في فتن وثورات داخلية كما حدث لليبيا وللعراق وسوريا. لأن رجال السياسة طرحوا المشكلة كمشكلة سلطة الكرسي لا كمشكلة الحضارة [17] ويوجه مالك بن نبي أنظار هؤلاء الساسة إلى صياغة

فكرة الواجب ضمن مشروع تربوي تغرسه في ضمير كل مواطن وكل زعيم ونلمس من حديث مالك بن نبي أن كلامه الموجه لقادة الثورة الجزائرية مدفوع بروح المشفق على مصيرها الخائف من مغبة انحرافها عن المبادئ التي انطلقت منها ثورة نوفمبر[18] ولهذا دعا إلى ضرورة تحصين الثورة من خطط الاستعمار وهذا بتدعيم الحاسة النقدية و تشجيع النقد الذاتي لمعالجة أي خلل قد يظهر في البنية الداخلية مع دراسة آليات الصراع الفكري الخفية. وعلى هذا الأساس انتقد بن نبي بكل شجاعة بعض الشخصيات التاريخية الجزائرية لأن الاستعمار نجح في تصنيع زعماء بما يحرف الطاقات الثورية [19]

ثالثا: العنف: لا نقصد بالحديث عن العنف استخدام القوة في إخراج الاستعمار من البلدان الإسلامية، وإنما المقصود العنف في هذا المبحث هو منهج الحركات التغييرية في استعمال القوة المسلحة من أجل إحداث التغيير في مرحلة ما بعد الاستقلال وبالخصوص في المجتمعات الإسلامية المعاصرة؛ وفي هذا الاطار يمكن أن نعرف العنف بأنه هو كل عمل يضغط به شخص على إرادة الغير لسبب أو لأخر، وهذا العمل يتضمن استعمال القوة مع إلحاق الضرر به والنيل من حرمة حياته الجسدية والفكرية، كما ان السلوك العنيف قد يكون فرديا أو جماعيا، منظما أو غير منظم علنيا أو سريا صريحا أو كاذبا[20]إن قضية استعمال العنف في التغيير قضية معقدة جدا لأنه تحكمه عدة عوامل مختلفة ومتداخلة وهو ما يشكل موضوع انشغال العديد من العلوم بما فيها علم الاجتماع، وعلم النفس، والبيولوجيا وعلم الجريمة. وعن الأسباب الحقيقية التي تغذي العنف وتدفع الإنسان إلى طلب التغيير بواسطته نجد :ما يتعلق بالأسباب الاجتماعية والاقتصادية من تفاقم مشاكل البيت من فقر مدقع ويتم متوحش، وعلاقات اجتماعية مفككة وارتفاع جنوني لأسعار

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

المواد الغذائية وانهيار القدرة الشرائية لدى المواطن البسيط، وعن الأسباب السياسية والثقافية نجد ما هو مرتبط ببقايا الاستعمار وتسلط الحكم الديكتاتوري وتقييد الحريات، وانتشار المظالم وانهيار القيم الأخلاقية وانحطاط المفاهيم الثقافية كتدهور الكلمة الصادقة والصور المحتشمة والمقاومة الشرعية، كما نجد ما هو نفسي كالحسد والغيرة وفقدان الأمل والحرمان، وفي هذه الحالة يركز علماء النفس على عملية الكبت التي تجعل الفرد يسلك سلوكا عدوانيا ضد ما يعتبره المسؤول الأول عن معاناته وقد يصل به الأمر إلى استرخاص الحياة اختيار الموت.

، فالعنف أصل البناء لأنه يولد مجتمعا جديدا، فلا يوجد عنف من أجل العنف أي لا يتخذ العنف من نفسه غاية ولكنه كوسيلة ضرورية للتغيير، ومن أجل ذلك يقول الفيلسوف الفرنسي "جون جاك روسو "ليس لنا فقط الحق بل من الواجب أن نثور إذا اقتضت الضرورة ذلك"، فالعنف لا تبرره الغاية السامية فقط، وإنما يبرره أيضا الدفاع عن النفس "فالرجل الثائر هو الرجل الذي يقول لا(non)[21]

رابعا: التربية: تتخذ التربية من التغيير موضوعا وهدفا لها، ويتخذ التغيير من التربية وسيلة و منهاجا له وتبرز التربية كوسيلة وكمنهاج للتغيير من خلال الممارسة التربوية التي تتطلب اختيار الوسائل الأكثر نجاعة وانتهاج أفضل الطرق لإحداث الأثر (التغيير) المرتقب.[22]والوسائل لا تقتصر على المدرسة بأركانها المعروفة (التلميذ المتعلم والمنهج المدرسي)وحدها، بل تسبقها في الأهمية الأسرة والتي تعمل منذ ولادة الطفل على غرس القيم والمبادئ الخلقية وتوفير شروط الصحة النفسية والبدنية، كما تلعب وسائل الإعلام وخاصة التلفزيون دورا هاما قد يراه البعض أهم من دور المدرسة نفسها.[23] ولهذا يتأكد لدينا خطأ حصر المنظومة التربوية في التعليم

المدرسي وحده غافلين عن تأثير وسائل الإعلام والوسط الاجتماعي. ولا يمكن أن ينجح الجهد التربوي إذا كانت حركة التوجيه المدرسي تسير عكس حركة التوجيه الإعلامي مثلا، فالتربية الاجتماعية تساهم فيها جميع مؤسسات التأثير الثقافي، الأسرة المدرسة، وسائل الإعلام والمسجد. ولا يتحقق أي تغيير خارجي بإنجاح مشاريع التنمية والتقدم إلا بتغيير داخلي يمس الشروط النفسية والاجتماعية أي تغيير شامل للأفكار والمفاهيم والسلوك، وليس هناك منهج لفعل ذلك غير التربية الاجتماعية، فلا جرم إذن أن يعتبر البعض التربية أعظم أداة استعملها الإنسان لتحقيق تقدمه[24]ولهذا تعتبر التربية عملية استثمار اجتماعي لبناء الحضارة، يتجاوز الإنسان بها تحقيق التنمية الاقتصادية إلى ما يحقق تنمية اجتماعية شاملة شرط أن تراعي أسس ثقافة المجتمع وحقائقها وخاصة قيمه الدينية، وإلا فإنها تتعرض لأضرار كبيرة [25]ولا يمكن أن يتكامل أي بناء لنظام تربوي ما لم تكن لدينا أفكار واضحة عن العلاقات والإنعكاسات التي تنظم الطاقة الحيوية على مستوى الفرد والمجتمع وقد ركز على التربية الاجتماعية لأنها وسيلة التغيير وتمثل بناء الإنسان من خلال إعادة توجيه عناصر ثقافته حيث يتعلم كيف يتحضر، لأن التربية الحقيقية ليست مجموعة من القواعد أو المفاهيم النظرية المجردة المنفصلة عن العوالم الثقافية للمجتمع (عالم الأفكار وعالم الأشياء) كما كان يظن بعض الحرفيين (وهم الذين يضعون أنفسهم ضمن المثقفين لمجرد حملهم لشهادات مدرسية) بل إن التربية ذات علاقة عضوية بالثقافة كوسيلة فعالة لتغيير سلوك وأخلاق الإنسان وتعليمه كيف يعيش مع أقرانه وكيف يكوّن معهم مجموعة القوى التي تغير شرائط الوجود نحو الأحسن دائما، وقد حرص على تحويل البرنامج التربوي من هو مجرد إلى ماهو واقعي وبذلك طرح فكرة التوجيه، فالتوجيه مهم في التربية وهو ما يقتضيه

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

مشروع نهضتنا حيث ترتبط الدراسة بالتخطيط العلمي لتحديد الأهداف والوسائل الضرورية التي تحققها باختصار الوقت والجهد حتى لا نقع في ظاهرة الإسراف أو التكديس.[26]

ولعل الهدف الأساسي الذي يصبو إليه بن نبي من خلال تركيزه على ضرورة نقل الطابع التربوي مما هو مجرد إلى ما هو تطبيقي هو حرصه على ضرورة تشييد حضارة ذات أسس متينة تعمل على توليد آليات تتحرك باستمرار وذلك بارتقائها إلى مستوى أمال وتطلعات الإنسانية، الذي يتم عن طريق التغيير الثقافي والاجتماعي و هذا البديل هدفه خلق مجتمع لم يوجد بعد [27] فبالنسبة لمالك بن نبي إن المجتمع الذي لا يسعى لأن يكون "مجتمع حضارة فهو معرض للحرمان من هذه الضمانات، وأن تحقيق الحضارة يعني تحقيق جميع شروط الحياة[28]،

إن العمل على خلق مجتمع غير موجود أصلا يتضمن عند بن نبي، تقييمه للوضع السلبي الذي أصبح يميز الواقع الثقافي والاجتماعي العام للمجتمع المسلم في مرحلته التاريخية الحالية. وهو السبب الذي جعل من فكرة التغيير عنده هدفه الأول الذي لابد من تحقيقه، ومن أجل ذلك يرى بن نبي أن ضرورة تجديد الأوضاع الحالية تقتضي إنتاج طريقين متعاكسين تعبيرا ومتكاملين مقصدا: ففي المرحلة الأولى ينبغي القيام بتصفية عادتنا وتقاليدنا'[29]. أي بطريقة تفصلنا عن رواسب الماضي"، وهذا ما يعرف عنه "بالتجديد السلبي" وفي مرحلة لاحقة ينبغي القيام بعملية تطعيم هذا الوسط الثقافي بأفكار فعالة تبعث فيه الحياة من جديد، أي بطريقة " إيجابية توصلنا إلى الحياة الكريمة" وهذا ما يسمى ب" التجديد الإيجابي.

حيث أن هذا التغيير الذي يريده بن نبي لن يتحقق في نظره إلا باستعادة المجتمع لمبررات وجوده الأصلية المؤسسة على قيم الروح.[30]

خامسا: العقيدة ودورها في إحداث عملية التغيير: أكد بن نبي على ضرورة تجديد النفس الإنسانية لأن هناك داء واحدا ينهش جسد الشعوب العربية في كل مكان منذ قرون، ذلك الداء هو فقدان الثقة بالنفس ومن أجل هذا عليه أن ينفض الغبار على نفسه ويسعى نحو مرحلة الحضارة التي تتسم بتركيب أصيل لعبقريتها الإسلامية. لكن هذا ليس بالآمر السهل وإنما يقتضي معرفة متعمقة بالإنسان وإمكانيته ونقائصه. وعليه لكي نعرف الإنسان ينبغي أن نعرف أنفسنا وذلك أمر لا يتيسر لقادة العالم الإسلامي إلا إذا قاموا بعملية استبطان دقيق لذواتهم و اختبار ضمائرهم الميتة و القاسية[31] إذ ما أردنا أن نعرف الإنسان من حيث كونه محركا للحياة الاجتماعية، فإننا نحتاج إلى قدر كبير من الوعي والعمل وبهذه الطريقة ينقشع الغموض عن خبايا النفس لنتعرف أين ينبغي إحداث التغيير الضروري الذي يتم حسب بن نبي بواسطة الدين والعقيدة لان عملية تجدد الإنسان لا تتم فقط من زاوية المادة كما يعتقد البعض بل نتناوله في إطار الكل الغير المتجزئ فلا نستطيع أن نحدد شروط تغييره لو غاب عن أعيننا (الجانب الروحي).حيث يمثل العنصر الديني الطريقة التي يتبعها الإنسان لاستبطان ذاته، إذن فالإصلاح الديني ضروري باعتباره نقطة تغيير اجتماعي، إن بوادر التغيير الديني مهدت له حركة الإصلاح التي كانت تدعو إلى بناء فكر منهجي يميز فيه المصلحون خبيث النوايا عن طيبها. وكان الشيخ محمد عبده قد قدم أعظم مثال على العمل الأدبي لعالم لم يتعود على التفكير في مشكلاته،، وفي الجزائر قام بهذه المهمة على وجه الخصوص العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس حيث استطاع أن يخلص الجزائر من تلك التقاليد

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

الزائفة التي كانت تتجسد في الطريقة المرابطية وقد نجحت هذه الحركات الإصلاحية في إزالة الركود الذي ساد مجتمع ما بعد الموحدين. وهذا حينما غيرت أوضاع الحياة وعلمتهم حتى فن الذوق وبلاغة الأدب العربي، ولقد كان من أثر تلك الحركة الإصلاحية أن تجددت القيمة القرآنية في ذات الإنسان فأصبحت قيمة منشطة ووسيلة فنية لتغيير الإنسان. انتقل بها من عصر ما بعد الموحدين إلى عصر النهضة. كما قدر له أن يتخطى بالطريقة نفسها حياة المجتمع الجاهلي إلى حياة المجتمع الإسلامي، فليس من الممكن إذن انفصال فكرة الإصلاح التي خطت تلك الخطوات الكبيرة عن حركة التطور في العالم الإسلامي التي فتحت أغنى حقول النهضة في أعز أيام الأمة العربية، وتعد الحركة الإصلاحية في التاريخ الإسلامي المعاصر أول محاولة إيجابية لاستحداث تركيب عضوي تاريخي، وكانت العامل الحاسم فى توحيد القلوب وصفاء النفس الإسلامية وهي أول جهد استهدف إعادة بناء المجتمع الإسلامي مسترشدا بالتخطيط الذي وضعه الرسول (ص)[32] وعليه فإن المشكلة لا تكمن في أن نعلم المسلم عقيدة وهو يملكها، وإنما المهم آن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي. أو بعبارة أخري ليست. مشكلتنا في أن نبرهن للمسلم على وجود الله بقدر ما نشعره بوجوده ونملأ به نفسه وهو ما يسميه بن نبي بتجديد الصلة باللهف موسى وعيسى ومحمد (صلوات الله عليهم) لم يكونوا علماء كلام ينطقون بأفكار مجردة ولكنهم كانوا مجمعين لتلك الطاقة الأخلاقية التي أوصلوها إلى نفوس بشرية. ففي كل هذه الحالات الفكرة الدينية استهدفت مباشرة ضمير الإنسان.[33].

الاستنتاج:

نستنتج في الأخير أن عملية التغيير عند مالك بن نبي ترتكز بالدرجة الأولى على الإنسان وتوجيه عناصره في التغيير الاجتماعي بما فيه التوجيه الخلقي: يحقق الربط والتلاحم بين الأفراد. ثم التوجيه الجمالي: يحقق الانسجام والإحسان والتناغم فكما يقال: كن جميلا تري الوجود جميلا وبعدها التوجيه العملي: يحقق الفعالية، حيث يقال في معظم أحاديثنا أعوذ بالله من البخل والكسل وأخيرا التوجيه الصناعي يحقق التنمية المستدامة. تجسيدا لمقولة المفكر الفرنسي فولتير **Voltaire** إن العمل يبعدنا عن ثلاثة :القلق الرذيلة والحاجة، كما اعتبر مالك بن نبي أن العنف و التربية والثورة وكذا العقيدة (حينما نحسن استعمالها)) كلها وسائل ضرورية ومهمة في إحداث عملية التغيير. كما كان يهدف دائما من وراء عملية التغيير إلى :نحو بناء حضارة عالمية والدعوة إلى التعايش الثقافي بين أبناء الأمة الواحدة وهي الأمة الإسلامية في ظل مؤتمر باندونغ وهو أول من تنبأ بفكرة إنشاء مغرب عربي موحد وهو المشروع الذي جسدته اليوم أوروبا وهو ما يعرف بتوحيد عملة اليوور، وكان دائما يلح على ضرورة إعادة بناء التنمية الاقتصادية من أجل بناء اقتصاد موحد وتخلصيه من التبعية وهذا يتم بفضل تحقيق فرد فعال منتج، كما سعي وراء عملية التغيير إلى إعادة النظر في المفهوم الحقيقي لمعنى الديمقراطية حيث يجب تحديدها دون ربطها مسبقا بأي مفهوم أخر كالإسلام أو العلمانية بل يجب النظر إليها بوصفها شعورا نحو الأنا الذي يقيم العلاقات بين الأفراد على أساس التعاطف والشعور بالمحبة والحنان وليس رعاية المصالح الضيقة كما هو الحال عندنا الآن والديمقراطية بوصفها كذلك مجموعة الشروط الاجتماعية السياسية الضرورية لتكوين وتنمية هذا الشعور في الفرد حيث عندما يشعر الناس بالتعاطف إزاء

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

بعضهم البعض فإن معني ذلك أن الروابط التي تجمعهم متينة وقوية وأنه من السهل مد يد المساعدة متى اقتضت الضرورة ذلك.

المجلة المغاربية للمخطوطات

7. الهوامش:

[1]-مالك بن نبي: اميلاد مجتمع، ت: ص 20/18.

[2]-محي الدين صابر: قضايا التنمية في المجتمع العربي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر بتونس.الطبعة 2 .1987.ص68

[3]-مالك بن نبي: ميلاد مجتمع ص 67/65.

[4]-نفس المصدر السابق ،ص 31

[5]-مالك بن نبي: شروط النهضة:ص 39/38.

[6]-مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه ص36.

[7]-مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي ،ص 74/70.

[8]-مالك بن نبي، ميلاد مجتمع ص65/49.

[9]-مالك بن نبي: مشكلة الثقافة ص87.

[10]-التوجيه عند بن نبي: يعني قوة في الأساس وتوافقا في السير ووحدة في الهدف

[11]-مالك بن نبي: شروط النهضة ص 90/89.

[12]-نفس المرجع السابق، ص :101/ 103/102

[13]-مالك بن نبي: شروط النهضة ص97.

[14]-سورة التوبة الأية 105.

[15]-نفس المصدر السابق ص 10 (بالتصريف)

[16]-مالك بن نبي: بين الرشاد والتيه ص 12./11.

[17]-نفس المرجع السابق ص:46/43/29.

[18]-مالك بن نبي: من أجل التغيير، ط1، دمشق: دار الفكر، بيروت. دار الفكر المعاصر 1978ص 84

[19]-حصة شاهد علي العصر من إعداد أحمد منصور في تاريخ 2003/01/08. استضافت الرئيس الاسبق أحمد بن بلة حيث تطرق إلى ما ذهب إليه مالك بن نبي عن الشهيد عبان رمضان ومصالي الحاج.

[20]-ابراهيم العبادي: جدليات الفكر الإسلامي المعاصر ط1 ،دار الهادي بيروت ،2001.ص 89.

[21]-جمال الدين بوقلي حسن: إشكاليات فلسفية، السنة الثانية ثانوي، ص 289/288/287.

[22]--مالك بن نبي: شروط النهضة ص 89

[23]-مالك بن نبي :ميلاد مجتمع ص:94.

[24]-محمد لبيب النجيحي:دور التربية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية للدول النامية ط2 دار النهضة العربية بيروت 1981. ص 13.

[25]-نفس المرجع السابق ص88. 124

ISSN: 2170-1598
EISSN : 2600-6588

[26]-مالك بن نبي :مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي ص68

[27]-مالك بن نبي: مشكلة الثقافة ،ص 38.

[28]-مالك بن نبي: تأملات ص 16.

[29]-مالك بن نبي: مشكلة الثقافة ،ص 17.

[30]-مالك بن نبي: تأملات ص 17

[31]- مالك بن نبي:وجهة العالم الإسلامي:ص:155/153/147.

[32]-مالك بن نبي:وجهة العالم الإسلامي، ص:158. /161

[33]-نفس المصدر السابق:ص 157/.55/54

المجلة المغاربية للمخطوطات

قائمة المصادر والمراجع:

1. بن نبي مالك، المسلم في عالم الاقتصاد، دار الفكر، دمشق. 1979
2. بن نبي مالك، تاملات، دار الفكر، دمشق. 1981
3. بن نبي مالك: من أجل التغيير،ط1،دمشق:دار الفكر،بيروت. دار الفكر المعاصر. 1978
4. بن نبي مالك، وجه العالم الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت لبنان، 2000م
5. بن نبي مالك،بين الرشاد والتيهت/ عبد الصبور شاهين ،دار الفكر، دمشق . 1978.
6. بن نبي مالك'، ميلاد مجتمع 'تر عبد الصبور شاهين 'دار الفكر 'دمشق . 1974
7. بن نبي مالك، مالك شروط النهضة، عبد الصبور شاهين، مكتبة دار العروبة- القاهرة، 1961.
8. بن نبي مالك، مالك مشكلة الثقافة، تر/عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، 1974
9. بن نبي مالك ، مالك مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، دمشق. 1988.
10. صابر محي الدين : قضايا التنمية في المجتمع العربي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر بتونس، 1987
11. العبادي ابراهيم: جدليات الفكر الإسلامي المعاصر، دار الهادي بيروت، 2001
12. النجيحي محمد لبيب: دور التربية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية للدول النامية ،دار النهضة العربية بيروت ، 1981.